

الزيتونة: دورها في حركة التحرير الوطنيّة التونسيّة

أ.د. الزبيدي علي

جامعة صفاقس (تونس)

تاريخ القبول: 2017/02/12

تاريخ الاستلام: 2016/12/05

الملخص:

قام النشاط الصحفي التونسي منذ تأسيس جريدة "الرائد التونسي" سنة 1860 بالأساس على الزيتونيين. وأسس هؤلاء، منذ 1907، ما يصعب إحصاؤه من الجمعيات. لكن السلطات الاستعمارية ظلت ترمق بعين الريبة المفرطة أيّ مسعى تنظيمي زيتوني مهما كان نوعه لفترة طويلة من الزمن. فنشط الزيتونيون بمختلف طبقاتهم في كلّ الجمعيات التي ظهرت على الساحة التونسية، وتسلم عدد منهم أعلى المسؤوليات في بعضها. وقد كان لالتقاء الزيتونيين مع حركة الشباب التونسي، ووجود الشيخ الثعالبي إلى جانب علي باش حانبة على رأس الحركة، أثر في توجيهها وإعطائها البعد الشعبي الذي كانت تفتقر إليه. كما انفرد الزيتونيون بالنشاط السياسي مدة الحرب العالمية الأولى، انسجاما مع نشاط الشيخ صالح الشريف ورفاقه في تركيا وأوربا، ثمّ مع نشاط الشيخ الثعالبي في باريس. وصولا إلى تأسيس الحزب الحرّ الدستوري التونسي عام 1920 الذي كان مشروعا زيتونيا بالأساس. وخاضوا التجربة النقابية منذ بدايتها في بداية القرن 20، وصولا إلى الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي تمّ تأسيسه سنة 1946. كما اندفعوا بقوة في تأييد شباب جريدة L'action tunisienne، والنشاط في صفوف الحزب الدستوري الجديد وغيره من الأحزاب والتنظيمات السياسية وصولا إلى اتفاقيات 1955 والمشاركة النشيطة في الصراع البورقيبي اليوسفي.

الكلمات الدالة:

زيتونة، صحافة، جمعية، حزب، نقابة.

العنوان بالإنجليزية:

Zaytouna: Her role in the Tunisian National Liberation Movement

.Abstract:

Since the founding of Al-Raed al-Tonousi in 1860, the Tunisian press activity has mainly focused on the Zaytona. Since 1907, they have established what is difficult to enumerate. But the colonial authorities continued to speculate with suspicion of any kind of regulatory effort of any kind for a long period of time. The Zaytounists were active in all their strata in all the associations that appeared on the Tunisian scene, and some of them received the highest responsibilities in some of them.

The meeting of the Zaytona with the Tunisian youth movement, and the presence of Sheikh Taalibi and Ali Bash Hanabeh at the head of the movement, had an impact on the direction and give it the popular dimension that it lacked. The Zeitounists were also active in the political activity during the First World War, in line with the activities of Sheikh Saleh Al-Sharif and his comrades in Turkey and Europe, and with the activity of Sheikh Thaalabi in Paris. Until the founding of the Tunisian Free Constitutional Party in 1920, which was originally a Zaytonia project. They have been active since the beginning of the 20th century, leading up to the Tunisian General Union of Labor, which was established in 1946. They also strongly supported the youth of The Tunisian action, the activity of the new Constitutional Party and other parties and political organizations up to the 1955 Conventions And active participation in the porcupine conflict.

Key words:

Al Zaytouna, Press, Association, Party, Syndicate.

مثلت فترة النصف الأول من القرن 20 الميلادي مرحلة مهمة من مراحل تشكل حركة التحرير الوطنية التونسية ونموها. فحققت تلك الحركة خلال المرحلة المعنوية نجاحات، كما شهدت إخفاقات وانتكاسات. ونحن إذا قمنا بتتبع مختلف التقلبات التي مرت بها حركة التحرير تلك، ورصد للعناصر الزيتونية الفاعلة على الساحة الوطنية التونسية، يمكننا القول إن هذه العناصر كانت حاضرة باستمرار في خضم الأحداث، في مجالات الصحافة والسياسة، وفي النشاطات النقابية والجمعياتية والحزبية، سواء كانت حركة التحرير في حال مد أو جزر. فإذا علمنا أن الزيتونيين كانوا دائما يشكلون أغلبية المتعلمين والمثقفين بالبلاد التونسية، وظلوا كذلك حتى سبعينات القرن 20، فمن الجدير بنا أن نتساءل عما إذا يستقيم الحديث عن حركة تحرير وطنية تونسية إذا حاولنا تجاوز هؤلاء الزيتونيين وإقصاءهم بأي حال. خاصة إذا اطلعنا على الحقيقة الآتية التي اعترف بها رئيس تونس الأسبق الحبيب بورقيبة نفسه في

حفل اختتام السنة المدرسية 1958-57 الذي انتظم بالمدرسة الصادقية، وهو يعلن قراره بتوحيد التعليم التونسي وإلغاء التعليم الزيتوني، رغم ما حققه هذا التعليم من تطوّر، بفعل ما أدخلت عليه من إصلاحات توجت بإحداث الشعبة العصرية: "... إنّي لا أنكر ما للتعليم الزيتوني من الفضل في مقاومة الاستعمار والصمود أمام تيّار الفرنسة هنا وفي الجزائر رغم أساليبه العتيقة مثلما كان الديوان الشرعي الذي كنّا نتشَبّث به فرارا من المحاكم الفرنسية".¹

1- الزيتونيون في مجال الصحافة

برز الزيتونيون أوّل ما برزوا في مجال الصحافة، وكانوا روادا بحق في هذا المجال. فقام النشاط الصحفي التونسي منذ عام 1904، بل منذ تأسيس جريدة "الرائد التونسي" عام 1860، بالأساس على كواهل الزيتونيين، وبرز من بين صفوفهم كبار الصحفيين التونسيين من أمثال محمّد السنوسي، وابنه زين العابدين، وعبدالرحمن الصنادلي، ومحمّد الجعايبي (الملقب بعميد الصحافة التونسية)، والطيّب بن عيسى، وحسين الجزيري، وغيرهم كثير.²

كما نسب أشهر ما راج من صحف سرية في ظلّ الرقابة خلال الفترة التي تلت حوادث أفريل (نيسان) 1938 واستمرت إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، من قبيل "الهلال"، و"الهلال الأسود"، إلى طلبة زيتونيين بالأساس من أمثال محمّد المرزوقي، ومحمّد بسباس، ونصر المرزوقي، وعبدالسلام الفارسي، وعبدالقادر الفقيه وغيرهم. بحيث يمكن القول إنّ الصحافة التونسية كانت تقوم بالأساس على الزيتونيين، فهم أهمّ من كان يصدرها ويحررها، وأغلب من كان يقرأها. وبدونهم لم تكن تلك الصحافة شيئا يذكر.

وقد أسّس الزيتونيون منذ إنشائهم "جمعية تلامذة جامع الزيتونة" أو "الجمعية الزيتونية" عام 1907 ما يصعب إحصاؤه من الجمعيات، وقدموا إلى الحكومة المطالب تلو المطالب من أجل الحصول على رخص العمل العلني لهذه الجمعيات. لكنّ السلطات الاستعمارية ظلت متمسكة بسياسة وحيدة، تتمثّل في العمل بمختلف السبل لعرقلة قيام جمعيات زيتونية. وذلك بإهمال الجواب على طلبات الترخيص مددا تصل إلى أربع سنوات أحيانا، قصد تثبيط هم كلّ من تسوّّل لهم أنفسهم السعي لتأسيس جمعية من أيّ نوع كانت. ثمّ بفرض الرقابة الأمنية عليهم، لترهيبهم والضغط عليهم بشتّى

الوسائل، من أجل إرهابهم وتشتيت شملهم، قبل رفض الترخيص لجمعياتهم في النهاية. ولم تهدأ تلك الحرب التي أعلنتها السلطات الاستعماريّة على العمل الجمعياتي الزيتوني إلّا لفترة وجيزة خلال ثلاثينات القرن العشرين، دون أن تضع الحرب أوزارها. وظلّت تلك السلطات ترمق بعين الريبة المفرطة أيّ مسعى تنظيمي زيتوني مهما كان نوعه. ولعلّ حالة الفرع التي أثارها تأسيس "جمعية المدرّسين الزيتونيين" أو "هيئة علماء الجامع الأعظم" عامي 1932 و1937 من أحسن الأمثلة على ذلك.

كان من نتائج تلك السياسة حرمان الزيتونيين، لفترة طويلة من الزمن، من التنظّم في جمعيات خاصّة بهم معترف بها. لكنّ غياب مثل هذه الجمعيات لم يمنع الزيتونيين من النشاط، فشاركوا بمختلف طبقاتهم في كلّ الجمعيات التي ظهرت على الساحة التونسيّة، سواء كانت ثقافيّة، أو اجتماعيّة، أو سياسيّة، أو نقابيّة. وبرزت عناصر زيتونيّة بنشاطات مهمّة ومتنوّعة في صلب تلك الجمعيات، وتسدّد عدد منهم أعلى المسؤوليّات في بعضها، فترأس كلّ من عبدالرحمن الكعّك والشيخ محمّد الفاضل بن عاشور أقدم جمعية تونسيّة ونعني بها جمعية الخلدونيّة.

2. الزيتونيون في مجال العمل السياسي

قاسم الشيخ عبدالعزيز الثعالبي علي باش حانبة قيادته لحركة الشباب التونسي، فأثّر وجوده ومن معه من الزيتونيين في توجيه الحركة باتّجاه فكرة الجامعة الإسلاميّة. وهو اتجاه ظهر جلياً في الدور الذي لعبته تلك الحركة إبّان الحرب الطرابلسيّة عام 1911، وازداد وضوحاً مع نشاط "اللجنة الجزائرية التونسية لتحرير المغرب الإسلامي" التي تزعمها الشيخان صالح الشريف وإسماعيل الصفّاحي عام 1916، وتبنّى محمّد باش حانبة نفسه هذه الفكرة في آخر مراحل حياته. وقد أعطى وجود الزيتونيين في صلب حركة الشباب التونسي لتلك الحركة البعد الشعبي الذي كانت تفتقر إليه، وهبّاها لكسب ثقة الجماهير الشعبيّة إبّان حركة مقاطعة الترام عام 1912.³

كاد الزيتونيون ينفردون بالنشاط السياسي دون غيرهم مدّة الحرب العالميّة الأولى، في وقت خلد غيرهم من عناصر حركة الشباب التونسي إلى السكينة، وقدم بعضهم فروض الولاء والتأييد لفرنسا المحاربة. فبقي جامع الزيتونة ينبض بنشاط سياسي معاد لفرنسا وحلفائها، ومجالاً لصدى نشاط الشيخ صالح الشريف ورفاقه في تركيا وأوروبا. الأمر الذي جعل مصالح الأمن والاستخبارات الاستعماريّة تركّز

اهتمامها على وسط مدينة تونس، وخصوصا على الوسط الزيتوني. فقامت بعدة اعتقالات في الزيتونيين، كان من أشهرها عمليّتي اعتقال حسين الجزيري وأحمد توفيق المدني. كما قامت برصد نشاطات قدماء الطلبة الزيتونيين، من أمثال الشيخ الثعالبي ومحمد الجعايبي، وأماكن اجتماعاتهم، تلك النشاطات التي كان لها أثر في التحضير لتحركات الوطنيين التونسيين غداة الحرب العالمية.⁴

وقد كان للشيخ الثعالبي دور مركزي في تلك التحركات، سواء قبل سفره إلى باريس، أو أثناء وجوده بها. وكان مريدو الشيخ الثعالبي في تونس - ومعظمهم من الزيتونيين - من أمثال محمد الرياحي، وصالح بن يحيى، وعلي كاهية، يتابعون أخباره، ويردّون نضاله بنشاط في الأوساط الشعبيّة، لم يقتصر على العاصمة فحسب، بل شمل بعض مدن الداخل والأرياف.

ولما تأسس الحزب الحرّ الدستوري التونسي عام 1920 كان مشروعا زيتونيا بالأساس، من حيث قيادته، وإطاراته، ومموليه، ودعائه في تونس ومختلف جهات البلاد. وعندما وجّه الحزب وفوده، كان الشيخ محمد الصادق النيفر رئيس وفده إلى محمد الناصر باي، وكان الزيتونيون كتبة العرائض التي حملتها تلك الوفود، والقائمين بجمع التوقيعات عليها، ولم يخل وفد من زيتوني. ولذلك نال الزيتونيون القسط الأوفى من حملة القمع التي ردت بها السلطات الاستعماريّة على باكورة نشاط الحزب عام 1920 في تونس وباريس. وكانت مشاركة الزيتونيين بارزة في الأحداث التي عقت انتشار خبر اعتزام الناصر باي التنازل عن العرش في شهر أفريل (نيسان) 1922. ولما خرج الحزب الدستوري مهزوما من تلك المعركة، شدّد عليه المقيم العام لوسيان سان Lucien Saint قبضته ليجهز عليه، واضطرّ الشيخ الثعالبي لمغادرة البلاد في جويلية (تموز) 1923، لم يجد الحزب عناصر أكثر التزاما وأصلب عودا من الزيتونيين أمثال أحمد توفيق المدني، ومحيي الدين القليبي، والمنصف المنستيري، والحبيب شلبي، والطاهر الحداد، وأحمد الدرعي، وصالح بن يحيى، وعليكاهية، الذين حافظوا على ما بقي من جذوة الحزب في ذلك الجوّ العاصف.⁵

كان هؤلاء الدستوريون الزيتونيون بالخصوص هم الذين أداروا المعركة ضدّ سياسة التجنيس عام 1923، اعتبارا لأنّ المسألة قد وضعت بالأساس في إطار ديني، ونظر إليها من منظور إسلامي، وذلك هو ميدان الزيتونيين الذي لا يضارعهم فيه غيرهم. فنشطت صحافة الحزب وبقية الصحف التونسيّة في

هذه المعركة بأقلام زيتونية في معظمها. وتوجت هذه الحملة الصحفية بصور فتوى محلية للشيخ أحمد عياد، رفدتها فتوى مصرية لكل من الشيخ محمد شاعر والشيخ علي سرور الزكلوني. ونجح الشيخ الثعالبي في إثارة اهتمام الأوساط الفكرية والسياسية المصرية خاصة، والعربية والإسلامية عامة، بالقضية التونسية، حتى بلغ صدى مسألة التجنيس بتونس الهند، واشتغلت بها صحف المسلمين هناك. وكان من نتائج الحملة التي خاضها التونسيون ضد قانون التجنيس أن فشل ذلك القانون، واستعاد الحزب الدستوري حركيته وثقة التونسيين فيه والتفافهم حوله، فرجع إليه شبابه.

كان الزيتونيون أساس الحركة الشعبية إبان الصحوة الوطنية بين 1925 و1933. خاضوا حملات الاحتجاج ضد نصب تمثال الكاردينال لافيغري Le Cardinal Charles Lavigerie في نوفمبر (تشرين الثاني) 1925، وانعقاد المؤتمر الإفخارستي في قرطاج في ماي (آيار) 1930، والاحتفال بخمسينية الاحتلال. كما قاوموا فتوى التجنيس التي عملت السلطات الاستعمارية على استصدارها من المجلس الشرعي عام 1933، من أجل نسخ الفتوى بحرمة دفن المتجنسين التي أصدرها مفتي بنزرت الشيخ إدريس بن محفوظ الشريف في مطلع ذلك العام، وبنضالهم نجح الحزب الدستوري في القضاء على مشروع التجنيس نهائياً. وإن لم يكن الزيتونيون وحدهم في هذه المعارك، فإنهم كانوا دائماً في الطليعة، ويمثلون باستمرار القوة الضاربة والأكثرية الساحقة في كل التحركات. مما كلّفهم دائماً الكثير من التضحيات وعرضهم للاعتقال، والمثول أمام المحاكم المدنية والعسكرية، والرفق من الدراسة، والطرد من مدارس السكنى، والإبعاد، والوضع تحت الإقامة الجبرية.⁶

3- الزيتونيون في مجال العمل النقابي

بدأت المسألة النقابية تطرح بجدية على الساحة التونسية في عشرينات القرن 20، وقد سبق للزيتونيين أن خاضوا التجربة النقابية في قطاعات مهنية مختلفة كان جلّ العاملين بها من خريجي جامع الزيتونة، رغم أن التونسيين لم يحصلوا على حق ممارسة العمل النقابي إلا بموجب أمر 16 نوفمبر (تشرين الثاني) 1932. وذلك من خلال جمعيات مهنية من قبيل "الجمعية التونسية للوكلاء" التي تأسست سنة 1907، و"ودادية معلّمي اللغة العربية" التي تأسست عام 1919، و"جمعية الرابطة القلمية" التي كانت تمثل أصحاب الصحف والكتاب التونسيين. كما لم يتغيّب الزيتونيون عن

نضال العمّال والحرفيّين والتجّار التونسيّين ضدّ حيف الإدارة الاستعماريّة واستغلال الرأسمال الأجنبي. فمن ذلك دخول التاجر الزيتوني، وصاحب مجلّة "البدر"، محمّد العربي المشيرقي طرفا في المشادّة التي وقعت بين تجّار سوق البلاغيّة وموظّفين لمراقبة البراءات (الباتيندة) تابعين لإدارة الماليّة بتونس يوم 16 فيفري (شباط) 1922. الأمر الذي أدّى إلى اتّهام المشيرقي بالبلشفيّة، واقتياده إلى المحافظة، وحدوث توتّر شديد بالسوق وتظاهر تجّار السوق أمام مشيخة مدينة تونس. ومن ذلك أيضا مشاركة أحمد الدرعي في إدارة الاجتماع الذي انعقد في قاعة سينما ابن كاملة عام 1924، بدعوة من محمّد علي من أجل تكوين شركة تعاونيّة للعمّال ذات أسهم، ودخول أحمد الدرعي والظاهر الحدّاد في الهيئة الوقتيّة للشركة المذكورة. ومشاركة أحمد توفيق المدني في إضراب عملة رصيف تونس لتشجيع المضربين ومدهم بالإسعافات. واعتقال أحمد الدرعي في إضراب عمّال معمل الآجر بمنزل جميل يوم 11 سبتمبر (أيلول) 1924.

وكان هؤلاء الزيتونيّون الدستوريّون في مقدّمة من احتضنوا محمّد علي منذ البداية، وسارعوا بتحويل وجهته من إنشاء مجرد شركات تعاونيّة للعمّال إلى تأسيس نقابات وطنيّة. وكان هدفهم اغتنام الفرصة لتقوية الحزب الحرّ الدستوري وإدخال حركة جديدة في دمه، عن طريق إسناده بالقوّة العماليّة على أثر الإضرابات العماليّة التي حدثت في شهر أوت (آب) 1924. وتمّ انتخاب الحدّاد - إلى جانب الزيتوني الشيخ العربي القروي - عضوا في اللجنة التنفيذيّة الوقتيّة لجامعة عموم العملة التونسيّة خلال الاجتماع الذي انعقد يوم 3 سبتمبر (أيلول) 1924 ضمن الأعضاء المكلفين بالدعاية. ورغم الاختلاف في وجهات النظر والمواقف بين أعضاء اللجنة التنفيذيّة للحزب الدستوري بشأن الحركة النقابيّة التونسيّة، فقد انضمّ إليها العديد من الدستوريّين بصفتهم الشخصية، وقام أعضاء قياديّون من الدستوريّين بمهمّات على جانب من الأهميّة في صلبها، من أبرزهم الزيتونيّين المدني والدرعي والحدّاد. وسعى هؤلاء القادة الدستوريّون - مثل الشيوعيّين تماما - من أجل استغلال سياسي للحركة العماليّة التونسيّة الناشئة، قصد إقحام العمّال في حركة مقاومة السياسة الاستعماريّة. ومع ذلك فإنّ العلاقة التي نشأت بين الحزب الدستوري والحركة النقابيّة لم تصل إلى حدّ سعي ذلك الحزب لفرض هيمنته على

جامعة عموم العملة التونسية على نحو ما سيفعل الحزب الدستوري الجديد مع كل من جامعة عموم العملة التونسية الثانية في ثلاثينات القرن 20 والاتحاد العام التونسي للشغل في الأربعينات وما بعدها.⁷ وبعد جامعة عموم العملة التونسية قرّر المدرّسون الزيتونيّون ابتداء من آخر ديسمبر (كانون الأوّل) 1932، تكوين نقابة للدفاع عن مصالحهم ووجهات نظرهم، أسموها "جمعية العلماء". لكن ردّ فعل السلطات الاستعماريّة على تأسيس هذه الجمعية الأستاذيّة الزيتونيّة ذات الطابع النقابي جاء سريعا وحازما. حيث وجّه الوزير الأكبر الهادي الأخوة إلى شيخ الإسلام المالكي وشيخ الجامع الأعظم محمّد الطاهر ابن عاشور رسالة في 4 مارس (آذار) 1933 يطلب منه استجواب الهيئة المؤسّسة للجمعية عن الغرض من تأسيسها، ولماذا لم يعلم مؤسسوها شيخ الجامع قبل البتّ في جمعيّتهم، ويبلغهم أنّ هذه الجمعية وأمثالها لا يمكن تشكيلها بوجه نهائيّ قبل استصدار إذن خاصّ فيها من الدولة، حيث لم تكن من النوع الذي تنطبق عليها أحكام الأمر العليّ المؤرّخ في 16 نوفمبر (تشرين الثاني) 1932. وكان للشيخ ابن عاشور موقف مشين جدّا إزاء الجمعية ومؤسّسيها، حيث أجاد في أداء دور العصا الغليظة التي سلّطتها السلطة على زملائه المدرّسين، فانحلت نقابتهم.

وقد أعاد المدرّسون الزيتونيّون تأسيس جمعيّتهم باسم "جمعية المدرّسين الزيتونيّين" في أوّل نوفمبر (تشرين الثاني) 1937، على أثر صدور القانون الذي يسمح بتأسيس جمعيّات ونقابات دون ترخيص مسبق وبمجرد إعلام الحكومة في عهد حكومة الجبهة الشعبيّة. لكنّ السلطات الاستعماريّة بتونس لم تكن مستعدّة أبدا للقبول بوجود "جمعية علماء تونسيّين" على غرار "جمعية علماء المسلمين بالجزائر". ووقف الشيخ المدير صالح المالقي موقفا مناونا للجمعية لا يختلف عن موقف سلفه الشيخ ابن عاشور من قبله. وتلقّى نائب الكاتب عام الجمعية الشيخ محمّد الصالح النيفر استدعاء لمقابلة الكاتب العام للحكومة، فقابل نائب مدير الداخلية قودياني Godiani، الذي أبلغه أنّ الباي لا يسمح بوجود نقابة في جامع الزيتونة على نحو ما قيل عام 1933. لكنّ الجمعية بقيت — رغم ذلك — قائمة، لأنّ الظرفيّة الوطنيّة والعالميّة في أواخر ثلاثينات القرن العشرين لم تعد تسمح للسلطات الاستعماريّة الفرنسيّة بوأد الحركات الشعبيّة بالسهولة المعهودة قبل ذلك.

وفي الأربعينات بدأت معركة على الصعيد النقابي، تمثلت في ظهور النقابات التونسية المستقلة في جنوب البلاد أولاً ثم بوسطها وشمالها بعد ذلك، فيما يشبه حركة تدريجية لإحياء جامعة عموم العملة التونسية. وقد لعب الزيتونيون عموماً أدواراً متميزة في صلب هذه الحركة النقابية بمختلف جهات البلاد، لأن جميع معلمي اللغة العربية في المدارس الحكومية والخاصة، والأكثرية الغالبة من موظفي المحاكم الأهلية، ونسبة معتبرة من موظفي المصالح الإدارية كانوا من الزيتونيين. وكاد ينحصر المثقفون بالمدن الصغيرة والقرى فيهم. وشارك هؤلاء الزيتونيون بتأسيس نقاباتهم، فكانت قوام جامعة الموظفين التونسيين التي شكلت - مع النقابات المستقلة للجنوب واتحاد النقابات المستقلة للشمال - الاتحاد العام التونسي للشغل عام 1946. وكان للمشايخ الزيتونيين حضور ومشاركة متميزين في أعمال المؤتمر التأسيسي لهذا الاتحاد يوم الأحد 20 جانفي (كانون الثاني) 1946، بحيث لم يكن من الصدفة أن نرى الشيخ محمد الفاضل بن عاشور يتولى الرئاسة الشرفية لهذه المنظمة العمالية بعدما قام بدور مهم للغاية في تأجيج الحماس الديني والوطني لدى العملة التونسيين ودفعهم للانسحاب من النقابات الفرنسية والانضمام للاتحاد العام التونسي للشغل.⁸

4- الزيتونيون في الحزب الدستوري الجديد

يبدو أن ما ألفه الزيتونيون من اندفاع للعمل المباشر والنضال الميداني هو ما جعلهم - مع عوامل أخرى لا نستبعد منها عامل الانتماء الجهوي نظراً لوجود عدد كبير من طلبة الساحل في الجامع - يندفعون لتأييد شباب جريدة L'Action Tunisienne المنشقين عن الحزب الدستوري عام 1934، فشارك عدد منهم في التحضير لمؤتمر 2 مارس (آذار)، الذي حضره العديد من الزيتونيين.⁹ ولعب الطلبة الزيتونيون دوراً متميزاً في التحركات السياسية لعام 1934 التي أدت إلى اعتقالات شهر سبتمبر. وتعرض العديد من الزيتونيين للاضطهاد في فترة 1934-1938، ونزلت بكثير منهم عقوبات متنوعة، بسبب انتمائهم للحزب الدستوري الجديد ونشاطاتهم في صفوفه ونشرهم لدعايته في مختلف أرجاء البلاد. وكانت مشاركة الزيتونيين، والطلبة منهم خاصة، في الاجتماعات التي عقدها الحزب الدستوري الجديد في مطلع شهر أفريل (نيسان) 1938، والمسيرات التي كانت تعقب تلك الاجتماعات، وفي مظاهرتي يومي 8 و9 أفريل (نيسان) متميزة.¹⁰ وقد اضطلع الزيتونيون بأدوار مهمة

في النضال السريّ لذلك الحزب خلال الفترة التي عقيبت تلك الحوادث، واستمرت إلى عام 1942 مع الدواوين السياسية المتعاقبة سواء في العاصمة أو خارجها. فكانت مدارس سكنى الطلبة مأوى للعديد من الاجتماعات السريّة التي تتمّ فيها صياغة المنشورات، وإصدار الجرائد السريّة، والتخطيط للمظاهرات وأعمال المقاومة أو "التخريب" على حدّ تعبير الديوان السياسي. وقد برز في هذا المجال عديد الزيتونيين من أمثال محمود شرشور، ومحمد بسباس، ويوسف ابن عاشور. وقدم هؤلاء مع غيرهم للمحاكم، وتواصلت عمليّات رقت الطلبة من الجامع الأعظم، وإبعادهم إلى المنطقة العسكريّة بالجنوب التونسي، رغم قلة عدد الطلبة الذين كانوا يتابعون الدروس بسبب ظروف الحرب، وميل السلطات الاستعماريّة الفرنسيّة للتصالح مع الشبان الزيتونيين، قصد تهدئة الوضع. وكان العنصر الزيتوني حاضرا في انتفاضة المرازيق (1943-1944)، سواء في التمويل والتسليح أو بالمشاركة في العمليّات الميدانيّة.

وخلال الحرب العالميّة الثانية، وفي مرحلة الانتصارات الألمانيّة، لم يكن بورقيبة وحده من أدرك أنّ النصر النهائي سيكون للحلفاء. بل كان العديد من التونسيين والعرب قد أدركوا هذه الحقيقة وتعاملوا مع الأحداث على هذا الأساس، ومن هؤلاء زيتونيون أمثال الشيخ الثعالبي. وبالمقابل نجد من التونسيين من راهن فعلا على المحور ولعب ورقته، أملا في أن ينتصر فتنصر القضية التونسيّة بانتصاره، ومن هؤلاء زيتونيون ومدرسيون. وقد عرف التونسيون في فترة الاحتلال المحوري، التي صادفت عهد المنصف باي، هامشا واسعا من الحرّيّة، ودخل عدد من المشايخ الزيتونيين في ميدان العمل الوطني والسياسي. فلمّا انهزمت قوّات المحور أمام الحلفاء وانسحبت من تونس، صحبها عدد من التونسيين الذين تعاملوا مع تلك القوّات أو أظهروا عداا سافرا لفرنسا، وكان بينهم زيتونيون أيضا. كما صحبها أيضا بعض ممّن أطلق الألمان سراحه من السجون وخشي أن يقع في يد الفرنسيين أمثال يوسف الرويسي والهادي السعيد، وقد أسهم هؤلاء في خدمة القضية الوطنيّة في أوروبا ثمّ في مكنتي المغرب العربي في القاهرة ودمشق.¹¹

أمّا في تونس، فقد دفع هول الوضع الناجم عن تعطّش الفرنسيين للانتقام والتشفي، بعد استرجاعهم السيطرة عليها، إلى تقارب بين مختلف التيارات السياسيّة في البلاد التونسيّة، أخذ شكل جبهة وطنيّة جمعتها المطالبة بإعادة المنصف باي إلى عرشه، وعرفت بالحركة المنصفيّة. وقد ضمت هذه الجبهة فيمن

ضمّت مشايخ جامع الزيتونة. وبرزت مساهمة الزيتونيين على سطح هذه الحركة السياسيّة من خلال احتداد نضالات الطلبة والمدرّسين الزيتونيين على حدّ سواء، من أجل تحقيق مطالب اجتماعيّة وسياسيّة، ودخول العديد من المشايخ المدرّسين ميدان النضال السياسي. وقد تجلّى ذلك خاصّة في استقبال الطلبة الزيتونيين للأميرين فيصل وخالد ابني عبدالعزيز آل سعود عند زيارتهما الجامع يوم 10 جانفي (كانون الثاني) 1944 بهتافات "يحيى الإسلام! تحيي الوحدة العربية! يحيى المنصف باي!"، ودخول المدرّسين الزيتونيين في إضراب عام عن التدريس ابتداء من يوم 14 الشهر، من أجل الحصول على تنظيرهم بغيرهم من الموظّفين التابعين للتعليم الرسمي على نحو ما كانوا يطالبون به منذ عام 1936. وقد كان لهذين الحدثين الزيتونيين مضاعفات معتبرة على المستوى الداخلي والخارجي، اضطرت السلطات الاستعماريّة معها للاستجابة لأهمّ مطالب المدرّسين الزيتونيين.¹²

إلا أنّ ذلك لم يمنع من اشتداد الغليان السياسي بالجامع الأعظم، واستفحال النشاط السري في الوسط الطالبّي الزيتوني فيما بقي من عام 1944 وعام 1945، واندفاع عدد متزايد من المشايخ المدرّسين الدستوريين الشبان نحو العمل السياسي، سواء في إطار الحزب الدستوري الجديد أو خارجه. ممّا جعل السلطات الاستعماريّة الفرنسيّة تقبل - بدعوة المشايخ المدرّسين في مؤتمرهم الأوّل الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور لتولّي مشيخة الجامع الأعظم في شهر فيفري (شباط) 1945 - أملا في أن يتمكّن الرجل بشخصيّة قويّة من لجم هذه المؤسّسة الجموح. وقد أهل النضج الذي بلغته الحركة الأستاذيّة الزيتونيّة في سنتي 1943 و1944 المشايخ المدرّسين للعب دور فاعل ضمن النشاط السياسي الوطني، تجلّى في دخولهم طرفا في العمل الجبهوي الذي بدأ في تونس، باجتماع اللجنة السباعيّة في شهر أكتوبر (تشرين الأوّل) 1944، والتي توسّعت بدورها لتشكّل لجنة التسعة عشر التي دعت للمؤتمر الوطني، الذي انعقد مساء يوم 22 فيفري (شباط) 1945 وحصر مطالب الشعب التونسي آنئذ في مبدأ الاستقلال الداخلي، على أن يكون تونسيّاً ديمقراطيّاً يعيّن شكله من قبل هيئة منتخبة بالاستشارة الشعبيّة.

ولمّا شكّل الحزبان الدستوريان لجنة الثمانية أو "لجنة التنسيق المزدوجة" بينهما في شهر أكتوبر (تشرين الأوّل) 1945، وظهر الخلاف بشأن الاستقلال الذاتي أو الاستقلال التام، كان لمبادرة مجموعة من مدرّسي جامع الزيتونة بتحرير عرائض تتضمّن مطالبة الشعب التونسي بالاستقلال التام، أثر على

دفع اللجنة الدستورية المذكورة نحو الاستقلال التام وصياغة النص النهائي لوثيقة الاستقلال، والتحضير لعقد مؤتمر الاستقلال ليلة القدر يوم 23 أوت (أب) 1946.¹³

إنّ المتنبّع لأحداث وما قام به الزيتونيون في مختلف مراحل حركة التحرر الوطنية التونسية، وفي مختلف مجالاتها، والتأمل في كلّ ذلك لا بدّ أن يلاحظ أننا نتحدّث عن الزيتونيين كأفراد أو كمجموعات أو شرائح وقطاعات من قبيل الصحفيين، والطلبة، والمشايخ المدرسين، وربما مدرّسي الطبقة كذا أو مدرّسي الآفاق إلخ... ويجدر التساؤل إذاً عمّا إذا لم يكن بين هؤلاء الزيتونيين، الذين كانوا يشكّلون غالبية المتعلّمين والمثقّقين التونسيين، رابط من شعور أو انتماء يجمعهم أو إيديولوجيا توحدّهم. بحيث يمكن أن نضعهم ضمن مجموعة في سلة واحدة تحت عنوان "زيتونيين" فحسب، في مقابل مجموعة أخرى بعنوان "مدرسيين" أو "صادقيين" على وجه التخصيص؟ ثمّ التساؤل عمّا إذا كانت تلك المجموعة من الزيتونيين لم تحاول تأسيس حزب أو أحزاب خاصّة بها، أو التشكّل في كتلة متميّزة أو لوبيات ضمن الأحزاب القائمة لتلعب لحسابها، وتفرض توجهاتها وتضمن مصالحها؟

وهنا نقول إنّ ما لاحظناه أنّ الزيتونيين لم يشعروا في أيّ وقت من الأوقات أنّهم "فئة" متميّزة عن بقية المجتمع التونسي. ولو أنّ نوع التعليم الذي كان يتلقّاه أولئك الزيتونيون والقائم بالأساس على العلوم الدينية الإسلامية واللغوية العربية - كان يؤثّر كثيراً أو قليلاً في تعميق الخلفية العربية الإسلامية الموجودة بالفعل في كلّ تونسي، بفعل نشأته في أسرة عربية مسلمة ضمن مجتمع عربيّ مسلم. وقد ظلّ المجتمع التونسي متمسكاً بعروبه وإسلامه منذ الفتح، متّجهاً بروحه إلى المشرق. وقد جعل هذا التعليم الزيتونيين على العموم أكثر تحسّساً للمؤثرات المشرقية التي كانت تهبّ على البلاد التونسية، ومنها حركتا الجامعة الإسلامية والقومية العربية، من غيرهم من خريجي المدارس الحكومية، الذين كانوا أكثر تحسّساً للمؤثرات الغربية والفرنسية تحديداً، التي تحصل لهم بفعل مباشرتهم للمناهج التعليمية الفرنسية ولاحتكاكهم بمدريسيهم الفرنسيين. ولم يصل ذلك "التمايّز" بين الزيتونيين والمدرسيين - فيما نرى - إلى حدّ التناقض والقطيعة، ولو أنّ التنافر والتناوش والجفاء كان يحصل بين طرفي المتعلّمين أو المثقّقين التونسيين. بحيث كان التمازج بين الزيتونيين والمدرسيين - بمن فيهم الصادقيين هو الغالب سواء في الجمعيات أو الأحزاب السياسية. بداية من الخلدونية، إلى حركة الشباب التونسي، إلى

الحزبين الدستوريين القديم والجديد، وحتى أحزاب الإصلاح والدستوري المستقل والشيوعي نفسها. حيث لم تمنع ثقافة الزيتونيين هؤلاء من التفاعل مع كلّ التيارات الفكرية والانتماء إلى مختلف الحركات السياسية، ولا غرابة أن تتسع حركات أو أحزاب التحرر الوطني إلى اختلاف بهذا القدر وأكثر. بحيث لم يشعر الزيتونيون أنهم "فئة" مستهدفة لإسلامها أو عروبتها ليمرسوا خلف أيّ من هاتين الخصوصيتين. فالمجتمع في تونس عرب ومسلمون، ولا مبرر للتمييز بين العروبة والإسلام، كما أنّ الكلّ يستند للمرجعية الدينية الإسلامية، فشعار الحزب الدستوري الجديد نفسه (وقلّ اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).¹⁴ ثمّ أنّ الزيتونيين كانوا دائما يمثلون أغلبية في "مجتمع" المتعلمين والمثقفين، وكذلك في كلّ الحركات بما فيها الحزب الدستوري الجديد، الذي كانت قيادته "الصادقية" في غالبيتها، لا تظهر للزيتونيين غير الودّ، ولم يبرز خلال فترة دراستنا ما من شأنه أن يضع الدستوري الزيتوني في وجه الدستوري المدرسي. ولذلك كانت الانتماءات الجهوية والولاءات القبلية "العروشية" هي التي تحدّد العلاقات عادة بين الأطراف ضمن الحزب نفسه، أكثر من الانتماء للزيتونة أو للصادقية. وقد ظلّ الزيتونيون في الحزب الدستوري الجديد يمثلون دائما القواعد والقيادات الدنيا، فلم يتجاوز منهم حدّ عضوية المجلس المليّ إلى الديوان السياسي إلّا القليل.

ولم نجد ما من شأنه أن يفيد بأنّ الزيتونيين الذين بلغوا مراتب متميزة في قيادة الحزب الدستوري الجديد كانوا يعملون على تشكيل "لوبي" زيتوني داخل الحزب. ثمّ أنّ السياسة التي سلكتها فرنسا - وهي الدولة ذات التقاليد الديمقراطية - في مجال الحريات بتونس لم تساعد عادة على انتشار تقاليد التنظيم في المجتمع التونسي عامّة وبين الزيتونيين على وجه الخصوص.

وعندما نما رصيد المشايخ المدرسين الزيتونيين في الشارع التونسي إبّان فترة الحرب العالمية الثانية، عقب انتصارهم في الإضراب الذي خاضوه عام 1943، وإثر تدخلهم لجبرّ المفاوضات المتعثرة بين الحزبين الدستوريين عام 1945 باتجاه تبني مطلب الاستقلال التام، ثمّ بروزهم في مؤتمر ليلة القدر، بدا ميل بعض الزيتونيين للبروز كقوة مستقلة على الساحة التونسية واضحا. وقد كان مثال "جمعية علماء المسلمين بالجزائر" يستثيرهم. لكنّ قادة الحزب الجديد أدركوا جيّد ذلك الميل، فعملوا من أجل استيعاب هذا "الخطر" بضمّ الشيخين محمد الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي إلى الديوان

السياسي بعد مؤتمر ليلة القدر المذكور. إلّا أنّ الشيخ الفاضل لم يستطع المقام ويركن إلى الهدوء، وما فتئ "خطره" يتعاظم ضمن الديوان السياسي نفسه بعد الدور الذي لعبه في تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، الأمر الذي قضى بالمواجهة. وقد حدثت تلك المواجهة بين الطرفين خارج الإطار الزمني الذي حدّدناه لبحثنا. فوجب إذاً أن نتجاوز هذا الحدّ، لنرى بداية الصراع سنة 1947 على زعامة ما تمّ إنجازه بالتعاون بين الزيتونيين والمدرسيين، سواء كان بالنسبة للحزب الدستوري الجديد أو للاتحاد العام التونسي للشغل. ثمّ لنرى الصراع يستفحل سنة 1951 بين الطرفين، حول ما إذا كان يجب أن تبقى في الحكومة كيفما كان الوضع، أم نواصل المشوار من أجل إنجاز مطالب الإصلاح الزيتوني المتفق عليها سابقاً.

ولم تشهد المرحلة ما بعد ذلك وصولاً إلى عام 1956، نشوء حزب سياسي زيتوني، سواء كان ذلك الحزب قومياً عربياً أو إسلامياً. وذلك لأسباب عديدة منها ما سبق أن أشرنا إليه من أنّ الزيتونيين لم يكن لهم شعور بأنهم يؤلّفون فئة متميّزة عن بقية الشعب التونسي، وكان ولاؤهم للحزب ولتونس - بما فيه الجهة والقبيلة أو العرش - أقوى منه لجامع الزيتونة ولما يمكن تسميته تجاوزاً بالرابطة الزيتونية إن صحّ التعبير، وللجامعة الإسلامية وللقوميّة العربيّة بمعناها المطروح في المشرق العربي. ومنها أيضاً أنّه لم يكن ممّن تصوّروا لزعامة الحركة الزيتونية - سواء من المدرسين أو الطلبة - من كان قادراً على الوقوف أمام زعماء الحزب الدستوري الجديد آنئذ، وقد كان صالح بن يوسف مشرفاً على حفظ الحزب، ولا على مجاراتهم في الأساليب التي يستعملونها لبلوغ غاياتهم وفرض سياساتهم. ناهيك أن الشيخ محمّد الفاضل بن عاشور اضطرّ للانسحاب من حلبة الصراع مع ابن يوسف، بعد ما رفت من الديوان السياسي، وفصل من المكتب التنفيذي لاتحاد العام التونسي للشغل، وألصقت به وبوالده أبشع النعوت، ثم تعرّض الشيخ الفاضل للاعتداء عليه مساء يوم 15 فيفري (شباط) 1951 في نهج جامع الزيتونة.¹⁵

إنّ الباحث في تاريخ المؤسسة الزيتونية والزيتونيين يجد صعوبات جمة، بسبب اتساع مجال نشاط الزيتونيين وتنوّعه (صحافة، جمعيات، ثقافة، سياسة ونقابة). ممّا يجعل من الصعب تتبّع نشاطهم ورصد مواقفهم على مدى نصف قرن من الزمان. وبسبب عدم وجود ما يمكن تسميته "أرشيف جامع الزيتونة وفروعه"، نظراً لغلط تلك المؤسسة العريقة بموجب قرار إصلاح التعليم التونسي عام 1958،

وتبعثر وثائقها بين مختلف مصالح وإدارات وزارة التربية، باستثناء الجزء اليسير المحفوظ في الأرشيف الوطني التونسي.

والمتتبع لنشاط الزيتونيين في مختلف المجالات يستنتج أن الزيتونيين أسهموا في تلك الفعاليات انطلاقاً من قناعاتهم التي نشأت لديهم من تعليمهم بالجامع وفروعه. بحيث أدوا دورهم في حركة التحرر الوطني دفاعاً عن الثوابت التي كانت تجيش بها نفوسهم. لكنهم دفعوا الثمن غالياً عندما تنكّر لهم نظام دولة الاستقلال وقياداته السياسية، التي اتخذت منهم موقفاً عدائياً، وقامت بتذويبهم في هيكل الدولة الجديدة، والقضاء على مؤسساتهم التاريخية وتصفية قياداتهم، من خلال تصفية المعارضة اليوسفية. وكذا اتهمهم بالتخلف العقلي وعدم الانفتاح، وتأمين تعليم قروصطي بأئس ومتخلف.

الهوامش :

¹. بدون إمضاء، "حديث فخامة الرئيس الأسبوعي"، في، العمل، تونس، 26 جوان (حزيران) 1958، ص 3.

². أنظر: ابن عاشور (محمد الفاضل)، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

ابن ميلاد (أحمد) ومحمد مسعود إدريس، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية 1892-1940، ج 1: مقدمة النشاط الفكري والسياسي للشيخ عبد العزيز الثعالبي في تونس من خلال وثائقه، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق

والدراسات "بيت الحكمة"، قرطاج، 1991.

Dabbab (Mohammed), *La presse arabe de Tunisie 1860-1914*, S.T.D., Tunis, 1990.

³. أنظر: ابن عاشور، نفس المرجع، ص 112.

ابن ميلاد، نفس المرجع، ص 114-116.

مناصرة، الحزب الحر الدستوري التونسي 1919-1934، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 30.

Guezmir (Kaled), *Jeunes Tunisiens*, Alif, Tunis, 1986.

Ayadi (Taoufik), *Mouvement réformiste et mouvements populaires à Tunis (1906-1912)*, Pub. De l'Uni. de Tunis, 1986.

⁴ عماليريّة (حفناوي)، "تقديم وثيقة" بيان توحّش فرنسا في القطر التونسي الجزائري والاستنجد إليه " لصالح الشريف

وإسماعيل الصفاحي"، في، روافد، عدد 4، تونس، 1998، ص 226-251.

الساحلي (حمادي)، "نشاط الوطنيين في المهجر أثناء الحرب العالمية الأولى"، في، المجلة التاريخية المغاربية، عدد

33-34، تونس، جوان 1984، ص ص 182-192.

- الزيري (علي)، جامع الزيتونة أهم ميدان للتحركات السياسية بتونس خلال الحرب العالمية الأولى، في، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 104، زغوان، سبتمبر 2001، ص ص 375-392.
- Abdel Moula (Mahmoud), *Jihad et colonialisme – La Tunisie et la Tripolitaine (1914-1918)*, Edition Tier-Monde, Tunis, 1987, p.88.
- ⁵ المدني (أحمد توفيق المدني)، حياة كفاح (مذكرات)، ج 1: في تونس 1905-1925، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
- Dabbab (Mohamed), *Les délégations destouriennes à Paris ou la «Question tunisienne» dans les années 1920 – Revendications, Manœuvres, Polémiques, Scission – Période: 1919-1921*, M.T.E, Tunis, 1980.
- ⁶ ابن ميلاد، نفس المرجع، ص ص 277-278.
- El Ghoul (Yahya), *Naturalisation française et mouvement national tunisien*, C.A.R. à la Fac. Des lettres, Tunis, 1973, p.80.
- ⁷ القناوي (بلقاسم)، مذكرات نقابي وطني، حققها وعلّق عليها فريد بن سليمان، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 1998، ص 19.
- Tlili (Béchir), *Nationalismes, socialisme et syndicalisme dans le Maghreb des années 1919-1934*, T.II : *Nationalisme, socialisme, syndicalisme en Tunisie et en Algérie 1919-1934*, Publication de l'Université de Tunis, 1984, p.221.
- ⁸ ابن حسن (إبراهيم)، "الزيتونة في الحقل النقابي"، في، ذكرى مرور ثلاثة عشر قرناً على تأسيس الزيتونة، تونس، 1979، ص 76.
- ابن حميدة (عبد السلام)، الحركة النقابية للشغيلة التونسية 1924-1956، ج 1، ترجمة جماعية، دار محمد علي الحامي، صفاقس، 1984، ص 81-82.
- ابن عاشور، نفس المصدر، ص ص 220-222.
- Kraïem (Mustapha), *Mouvement national et Front populaire – La Tunisie des années trente (2)*, Institut supérieur d'histoire du mouvement national, Tunis, 1996, p.168.
- ⁹ جلاب (الهادي)، مؤتمر 2 مارس 1934 قطيعة أم تواصل، في، مؤتمر قصد هلال 2 مارس 1934، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 1994، ص 10.
- ¹⁰ المعهد العالي للتاريخ المعاصر، مئوبة، وحدة التاريخ الشفوي. شريطان برقم 67.
- المحجوبي (علي)، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1986، ص 114.
- Kraïem, *Mouvement national ...op. cit.*, p. 386.

Lejri (Mohamed Salah), *L'évolution du mouvement national tunisien des origines à la deuxième guerre mondiale*, vol. II, M.T.E., Tunis, 1974, p.212.

¹¹. التميمي (عبد الجليل)، "من مذكرات مناضل المغرب العربي المرحوم يوسف الرويسي"، في، المجلة التاريخية

المغربيّة، عدد 35-36، تونس، ديسمبر 1984، ص 186.

¹².Rush (A. de L.), *Ruling Families of Arabia, Saudi Arabia: the royal family of Al-Sa'ud*, vol. II, Archive Editions, Oxford, 1991, pp.196-98.

العياشي (المختار)، البيئة الزيتونيّة 1910-1945 - مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلاميّة التونسيّة، تعريب حمّادي الساحلي، دار التركي للنشر، تونس، 1990، ص 208.

¹³. شلبي (محمد الحبيب)، "خلفيات مؤتمر الاستقلال 26 رمضان 1365هـ/ 23 أوت 1946م"، المجلة التاريخية

المغربيّة، عدد 23-24، تونس، 1981، ص 323-330.

Ben Miled (Dr. Ahmed), «Mon témoignage sur le Congrès de l'Indépendance (23 aout1946) suivi de quelques documents inédits», in : *Revue d'Histoire Maghrébine*, no 23-24, Tunis, novembre 1981, p.265.

¹⁴. سورة التوبة، الآية 105.

¹⁵. أنظر: الزبيدي (علي)، دراسات في تاريخ التعليم بالبلاد التونسيّة في الفترة المعاصرة، منشورات منتدى الفارابي

للدراسات والبدائل، صفاقس، 2014، ص 181-197.

الزبيدي (علي)، تاريخ النظام التربوي للشعبة العصريّة الزيتونيّة (1951-1965)، منشورات المعهد الأعلى للتوثيق،

تونس، 1986، ص 138-163.